بعد انهيار الحبشة

الخـــطر الفاشستى

والصراع بين الفاشستية والامبراطورية البريطانية

لباحث دبلوماسى كبير

انتهت أعمال القرصنة الايطالية فى الحبشـة إلى نتيجة لم يتوقعها كثيرون من رجال الحرب والسياسة ؛ فقد انتهت بانهيار قوى الحبشة بسرعة ، وسقوط قواعدها فى يد العدو المغير بلا مقاومة ، ومثول عاهلها الأمبراطور إلى الخارج ، تاركا ملكه ووطنه وأمته إلى مصاير مجهولة . واستطاع موسوليني زعيم الفاشستية المعتدية أن يعلن خلال مناظر مسرحية ضم الحبشة لايطاليا وتعيين ملك ايطاليا امبراطوراً للحبشة

ومن العبث أن نحاول التحدث هنا عن أسباب انهيار المقاومة الحبشية بتلك السرعة المدهشة بعد أن استطاعت أن تصمد فى وجه العدو أشهراً ، وأن تقف زحفه سواء فى الشمال أو الجنوب حتى شهر مارس الماضى ؛ ولكن المحقق أن هذا التطور الفجائى فى أقدار الحرب يرجع قبل كل شيء إلى التجاء الايطاليين ، بعد أن عجزوا عن التغلب بوسائل الحرب المشروعة إلى استعمال وسائل الحرب المحرمة كالغازات القاتلة وغيرها ؛ وهكذا استطاعوا بتلك الوسائل المجرمة أن يمزقوا صفوف الأحباش ، وأن يلقوا الروع فى نفس الشعب الحبشى بأسره ، هذا إلى ما يذاع من أنهم استطاعوا أن يبثوا بالرشوة والاغراء كثيرا من أسباب الشقاق بين مختلف الرؤوس والزعماء

على أن هـذا النصر المثير الملوث بأدران الجريمة ، والذى يعتبر بحق قرصنة استعمارية محضة ، لم يمنع الفاشستية الايطالية من أن تزفه إلى العالم نصرا رومانياً للحضارة والمسيحية المتمدنة ، على بلاد همجية تتوق إلى الانضواء تحت السيادة الايطالية الظليلة ، والأخذ بأسباب الحضارة الايطالية الزاهرة ! ولم يمنع زعيم الفاشستية من أن ينوه بأسلوبه المسرحى بعظمة هذا النصر الفاشستى ، وبأنه عنوان ساطع لقوة ايطاليا الفتية ، وأن يتوعد أوربا والعالم كله بأنه على استعداد لأن يسحق أية قوة أو دولة تحاول أن تقف فى سبيله أو تحاول أن تحرمه من ثمار ظفره

ولو عيد موسوليني مغزاه ؛ ذلك أن إيطاليا تستقر الآن فى الحبشة بقوة الفتح فقط ، ولكن هذه الحقيقة الواقعة لا يمكن أن تعتبر حلاً نهائياً المسألة الحبشية ، وإنما تنتقل المسألة الحبشية الآن من ميدان الحرب إلى ميدان الحوادث الدولية والصراع الاستعمارى . ولنذكر دائماً أن ما أبدته عصبة الأمم من إقدام فى الحكم على إيطاليا بالاعتداء وتوقيع العقوبات الاقتصادية عليها يرجع قبل كل شيء إلى تدخل انكلترا ونفوذها ؛ وانكلترا لم تتدخل ولم تعمل لتنظيم هذه الحركة الدولية تأييداً لميثاق العصبة ومبدأ السلامة المشتركة فقط ، ولكن لأن الانتصار الفاشستى فى الحبشة يهدد صرح الامبراطورية البريطانية ومصالحها الحيوية بأعظم الأخطار

وقد عقدت الآمال من قبل على تدخل العصبة وجهودها ؛ وما زالت العصبة على موقفها من استنكار عمل ايطاليا وتأييد العقوبات الاقتصادية المفروضة عليها ؛ وربما اتخذت اجراءات أخرى فى هذا السبيل فى اجتماعها الذى سيعقد فى الخامس عشر من يونيه ؛ ولكنا نستطيع منذ الآن أن نضرب صفحاً عن الدور الذى يمكن أن تؤديه العصبة فى حل المشكلة الحبشية بعد أن انهار تدخلها ، ولم تستطع أن تنفذ كل ما يقضى به ميثاقها للتوسل إلى ارغام المعتدى على وقف الاعتداء

والآن ينكشف النضال واضحاً عن معركة دولية ذات وجهين : أحدهما قد اتخذ حتى اليوم ستاراً للآخر ؛ فأما الوجه الأول فهو مبدأ السلامة المشتركة طبقاً لميثاق عصبة الأمم ، وهو المبدأ الذى انتهكته إيطاليا بغزو الحبشة ، وحاولت العصبة تأييده بفرض العقوبات ؛ فالدول الصغرى من أعضاء العصبة تتساءل اليوم ، هل فى وسعها أن تعتمد فى سلامتها الخاصة على تطبيق هذا المبدأ بعد الفشل الذى لحق العصبة فى وقف الاعتداء الايطالى ؟ أم هل يجب عليها أن تبحث عن وسائل عملية أخرى كعقد المواثيق المحلية لتأمين سلامتها ؟ إن ما ارتكبته إيطاليا فى الحبشة يمكن أن ترتكبه غداً فى تركيا ، أو فى اليونان ، ويمكن أن ترتكبه ألمانيا فى النمسا أو هولندة أو لتوانيا ، ويمكن على وجه العموم أن ترتكبه أية دولة قوية ضد أية دولة ضعيفة دون أن تجد وازعاً كافياً لوقف

عدوانها ؛ فأنصار عصبة الأمم يرون فى هذا الطور الحاسم من تاريخ العصبة أن لا أمل فى نجاح مبدأ السلامة المشتركة ما لم يعدل دستور العصبة فى هذا الشأن تعديلاً وافياً ، وتنظم العقوبات الاقتصادية والعسكرية التى تطبقها العصبة على المعتدى تنظيما يكفل أثرها فى وقف الاعتداء المسلح بسرعة ؛ وخصوم العصبة يرون أن التجربة الحبشية كانت حاسمة ، فعلى عصبة الأمم أن تعلن افلاسها ، وعلى الدول أن تعتمد على وسائلها الخاصة للدفاع عن نفسها ؛ وتقف الدول الصغرى فيما بين ذلك حيرى ، ولكنها تعمل من جهة أخرى على تنظيم وسائل الدفاع عن نفسها جهد المستطاع

وأما الوجه الثانى من هذه المعركة الدولية ، فهو نشوب النضال بين قوة عسكرية جديدة طامحة ، هى الفاشستية الايطالية ، وبين امبراطورية استعمارية عتيدة ، هى الامبراطورية البريطانية ؛ ولم يكن خافياً منذ البداية أن نشاط السياسة البريطانية فى توجيه عصبة الأمم إنما هو مرحلة فقط من مراحل النضال الحقيق ؛ والآن وقد انتهت هذه المرحلة بظفر العسكرية الفاشستية ، وهزيمة السياسة البريطانية ، فان النضال يوشك أن يدخل طوره الثانى ؛ وقد أدركت بريطانيا العظمى منذ البداية ما تهدد به تلك الفاشستية المضطرمة الطامحة ، سيادتها فى البحر الأبيض ، وما يهدد به ظفرها فى الحبشة سيادتها فى وادى النيل وشرق أفريقية ؛ وسيادة الامبراطورية البريطانية ومواصلاتها ، صرح لا يتجزأ ، فأى صدع يصيبها يعرض البناء كله للخطر ؛ ولم تخف الفاشستية ولا سيما منذ ظفرها فى الحبشة ، أنها تداعب حلماً امبراطورياً ضخماً ، وما فتئ زعيمها يتحدث عن احياء الامبراطورية الرومانية ؛ وليس من ريب فى أن السياسة البريطانية ترى فى هذه العسكرية الطامحة المتجنية ، المعتدة بقوتها ، المغترة بظفرها ، خطراً عظيماً على كيان صرحها الامبراطورى ، ترمع سحقه بأى الوسائل

— ٢ —

وليست انكلترا وحدها هى التى تستشعر ذلك الخطر العسكرى الجديد الذى تهب ريحه على أمم البحر الأبيض بنوع خاص ، بل إن أمم أوربا كلها تستشعر به وتخشى تفاقمه ؛ وإذا كانت ثمت دول مثل فرنسا وألمانيا والنمسا تنظر إلى نهوض الفاشستية بعين الاغضاء ، وربما بعين الرضى ، فذلك لظروف خاصة مؤقتة لابثث أن تزول فتشعر هذه الأمم بنفس الشعور الذى يثيره ظهور عسكرية جديدة جامحة تحتقر العهود والمواثيق الدولية وتجعل شعارها القوة الغاشمة دون غيرها

وأمامنا التاريخ الأوربى الحديث ، يعيد نفسه دائماً ؛ وفى رأينا أنه سيعيد نفسه فى القريب العاجل مرة أخرى

ذلك أن أوربا ، وانكلترا بنوع خاص ، لم تتسامح قط فى أمر العسكريات القوية المعتدية ؛ ولم تنهض فى أوربا أية عسكرية قوية طامحة ، خلال القرون الأربعة الأخيرة ، إلا اجتمعت أوربا على مقاومتها وسحقها

وقد كانت العسكرية البروسية آخر عسكرية من هذا النوع ، لقيت مصرعها فى الحرب الكبرى

ومنذ القرن السادس عشر يعيد التاريخ الأوربى الحديث نفسه فى هذا الميدان بصورة واضحة ؛ ففى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، كانت العسكرية التركية تجول ظافرة فى جنوب شرق أوربا وأواسطها حتى حدود بولونيا ، وقد اجتاحت حوض الدانوب حتى أسوار فينا ، وحاصرت العاصمة النمسوية مرتين ، فما زالت أوربا حتى حطمت هذه النهضة العسكرية الخطرة فى البر والبحر ، وردتها الى ما وراء الدانوب ، وحرمتها من كل ثمار ظفرها ؛ وفى القرن السابع عشر ، قام لويس الرابع عشر يهدد سلام أوربا الغربية بأطماعه ومغامراته العسكرية ، فما زالت الدول الخصيمة وفى مقدمتها انكلترا والنمسا حتى سحقت قواه العسكرية ، بعد سلسلة من الحروب الطاحنة ؛ وفى أوائل القرن الثامن عشر كان كارل الثانى عشر ملك السويد يجتاح بجيوشه ضفاف البلطيق وغرب روسيا ، ويهد التوازن الأوربى فى شرق أوربا ، فما زالت روسيا حتى سحقت مشاريعه وقواه

وربما كان أعظم مثل فى التاريخ الحديث لذلك الصراع الخالد فى سبيل التوازن الأوربى ، وسحق العسكريات الجامحة ، مثل نابليون بونابارت ؛ فقد ظل هذا الجندى العظيم الطامح يقود جيوشه الظافرة فى جنبات أوربا مدى عشرين عاما ، ويبسط سيادته على معظم الدول الغربية والوسطى ، ويعمل بكل ما وسع لتحطيم سيادة انكلترا فى البحر الأبيض ؛ ولكن انكلترا لبثت تطاوله وتصارعه وتؤلب عليه الدول الخصيمة ، حتى انتهت بسحقه وتحطيم ذلك الطغيان العسكرى الشامل الذى بسطته

الأمبراطورية على أوربا زهاء عشرة أعوام

وقد رأينا كيف اجتمعت أوربا الغربيـة ، وفى مقدمتها انكلترا ، أثناء الحرب الكبرى ، لتحطيم العسكرية البروسية ، التى وثبت تهدد العالم بأطماعها الجائشة فى السيادة والاستعمار ، وكيف لقيت مصرعها بعد حرب كانت أروع ما شهد التاريخ

والآن يبدو الخطر الفاشستى فى الأفق ، وتنذر العسكرية الفاشستية الجامحة بتحطيم التوازن الأوربى فى شرق أوربا وفى وسطها ، وتتحدى بالأخص سيادة انكلترا البحرية فى البحر الأبيض ؛ وقد زادها انتصارها فى الحبشة زهوا وتحديا ، فهل تصبر أوربا ، وهل تصبر انكلترا بنوع خاص حتى يتفاقم الخطر الفاشستى كما تفاقم الخطر البروسى قبيل الحرب ؟ هذا ما لا نعتقد ، وفى يقيننا أن الامبراطورية البريطانية تتأهب لخوض ذلك الصراع التقليدى الذى حرصت دائماً على خوضه لتحطيم ذلك الطغيان العسكرى الجديد الذى يهدد سيادتها ومصالحها الحيوية فى البحر الأبيض وفى شرق أفريقية ، وإذا كانت السياسة البريطانية ما زالت تبدى بعض الفتور والتردد فى العمل الحاسم فذلك لأن مضمار الحرب والتسليحات الحديثة قد اتخذت وجهة جديدة ، ولم تعد السيادة البحرية وحدها كافية لأن تملى بريطانيا كلمتها ؛ ومن تقاليد بريطانيا المأثورة أنها لا تتعجل الحوادث ، ولا تسارع الى قبول التحدى الطائش ؛ وبريطانيا تزن اليوم أقدار الحرب والنضال بميزان جديد لم تستقر عوامله بعد ؛ وقد يمضى وقت آخر قبل أن تنزل بريطانيا الى ميدان العمل الحاسم

قد تستطيع الفاشستية الجامحة فى نشوة ظفرها المزعوم ، أن تزعج أوربا وانكلترا ، مدى حين بمشاريعها ووعيدها ؛ ولكن الفاشستية تخطىء بلا ريب إذا هى اعتقدت أن الظفر ميسور فى ميادين أخرى غير الحبشة ، وأنها تستطيع فى مكان آخر من أوربا ، أو افريقية ، أن تستعمل وسائلها العسكرية المجرمة فى تحقيق أحلامها الرومانية ، دون عقاب أو وازع ؛ وهنالك حقيقة لا ريب فيها ، وهى أن الفاشستية قد بثت بمسلكها وغرورها ووعيدها مخاوف ما كان اغناها عن بثها ، وأنها سترغم بلا ريب ، فى القريب العاجل ، على خوض الصراع الحاسم ؛ وليس من ريب فى أنها ستسحق فى هذا الصراع ، كما سحقت كل عسكرية أوربية جامحة من قبلها

* * *

امتزاج الاحاسيس

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

قال المتنبى :

والذل يظهر فى الذليل مودة وأود منـــه لمن يود الأرقم

وأحسب أن المتنبى إنما أراد أن يصف الذليل المداجى الذى يظهر المودة ويخفى الضغينة والعداء ، فيتودد ويتذلل حتى ينال من خصمه . وهذه صفة شائعة فى ذوى الكيد والمكر والدهاء . ولكن هناك صفة أخرى فى النفس الانسانية تشبه هذه الصفة بعض الشبه ، وهى صفة المحبة والمودة التى يحسها الخائف إحساساً حقيقياً لا مداجاة فيه إذا عجز عمن يخاف منه وألف الخوف فأزالت ألفة الخوف غلواءه ، وأزالت الرغبة فى التخلص منه ، وأبعدت هى والعجز أمل الانتقام من أجله ، فتحول ارادة المحافظة على الحياة ذلك الخوف المألوف محبة أو مودة تحاول بها نيل الزلفى لدى الانسان المخوف من طريق الاحساس الصادق بالمحبة أو المودة ، وتحاول أن تسل بها من قدرة المخوف حمة البغض وسم الضغينة ، لأن ارادة المحافظة على الحياة تعلم أن مودة الرياء ومحبة النفاق قد لا تقنع ، وقد تنكشف ويشف ثوب الرياء عما تحته فينال الخائف المرائى شراً إذا انكشفت مداجاته وعرفت مداهنته ، ومن أجل ذلك تبالغ إرادة المحافظة على الحياة فى الحيطة والحذر ، فتحول الخوف من الانسان المخوف الى حب له أو مودة كى تقنعه وتتقى بوادر شره ، وهى أيضاً تحاول أن تقنع بتلك المودة نفس من يحسها ، وتفهمها أن لا داعى لليأس من الحياة كى لا يرهقها الخوف واليأس ؛ وهذا أمر مشاهد إذا قرأ الانسان سفر الحياة وتقصى البحث فى تكوين النفوس

وهذه المحبة قد تزول وقد تبقى بعد زوال أسباب الخوف ، وقد تقوى أواصرها بعد الرهبة ولا سيما إذا حلت الرغبة مكان الرهبة ، ووجدت النفس منفعة دنيوية أو نفسية لها عند من زالت أسباب الخوف منه ؛ وقد تنقلب تلك المحبة إذا زالت أسباب الخوف مقتاً ورغبة فى الانتقام ، فيحسبها الباحث أنها لم تكن إلا مداهنة ونفاقا ، وهى قد تكون ذلك ، وقد تكون كما شرحنا محض المودة والشعور الصادق بها ، لأن احساسات